دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الشبكات الافتراضية المجتمع السبرنتيقي
المصدر:	المجلة العربية للمعلومات
الناشر:	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
المؤلف الرئيسي:	رندو، كترين
مؤلفين آخرين:	الغربي، روضة(مترجم)
المجلد/العدد:	مج 18, ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
الصفحات:	144 - 153
رقم MD:	35963
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	مصادر المعلومات الإلكترونية، شبكات المعلومات ، الأحوال الاجتماعية ، الثقافة ، الحاسبات الإلكترونية ، قواعد المعلومات، النشر الإلكترونية، المكتبات الافتراضية، خدمات المعلومات، خدمات المكتبات، المستفيدون من المعلومات، نظم المعلومات، الانترنت
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/35963

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الشبكات الافتراضية :
المجتمع السبرنتيقي ؟(*)

إعداد : **كترين رندو**، بسطن، مسشوسات
ترجمة : **روضة الغربي**

تنضاف الآن وبأعداد متعاظمة إلى القائمة الطويلة للمصنفات الأمريكية الشمالية النظرية والتاريخية والتقنية حول عمليات الحوسبة مؤلفات تهتم بالصيرورة الاجتماعية التي تنشأ في سياق الشبكات الافتراضية التي تشكل في ذات الوقت فضاءات للكتابة والاتصال والحياة. وأثناء إبحارنا مع هؤلاء المؤلفين المختصين في الاتصالات عبر الحواسيب، نقترح هذه المقالة التي تقدم خلاصة ملاحظات وتحاليل تتعلق بالظواهر الاجتماعية في البيئات الافتراضية.

إن الإحاطة بتشخيص سلوكيات مستعملي الشبكات، وإبراز الحركية التي تولّدت عنها في ظل ثراء وتنوع المواد التي تتضمنها هذه المساهمات، هما العامل الأساسي في تقديم البراهين والمؤشرات عن التغييرات الاجتماعية التي تحملها التقانات الجديدة.

ويتابع مؤلفو المصنفات التي سنتفحصها، والذين ينتمون إلى تخصصات مختلفة، ما يدور في هذه الشبكات، وما يحدث فيها، وهم يحاولون فهم كيف تتشكل جماعة ما انطلاقا من قاعدة البيانات. وتتمثل غايتهم المشتركة في قياس النتائج المتولدة عن استعمال الشبكات، ويؤكد جميعهم أنه لا بد من حقبة من الزمن (بعضهم يحددها بعقدين، والبعض الآخر لا يقترح شيئا) لتقييم مدى تأثر القراءة والكتابة والعلاقة بالمعرفة والثقافة في وسط البيئات الإلكترونية وتحت تأثير عوالمها.

ويقارب عدد منهم هذه الموضوعات بتدرج، ويقدم حالات ونوادر ويربط بينها، ويطرح الأسئلة ولكن يبقيها مفتوحة، ويقدم فعلا مقترحات للبحوث التي ستتم

(*) BBF, Paris, T.41, N° 6, 1996.

مستقبلا، وغالبا ما توضع مناهج الاستقصاء التقليدية محل تساؤل. ويقع تنبيه القراء : إلى أنه في هذه الحقول التي لا تزال بكرا والتي تشكلها الشبكات، يحتاج التوتر الحاصل بين الواقع الافتراضي والواقع إلى التمتع بـ«حس مرهف».

وتحيل الدراسات المشار إليها إلى أعمال رولان بارت (Roland Barthes) وميشال فوكو (Michel Foucault) وجاك دريدا (Jaques Derrida) وجان بودرميلار (Jean Baudr-millard) بهدف إبراز تماسك وتمفصل البراهين النظرية. ونرى هكذا كيف إن واقع الفضاءات المتولدة عن النظم الإلكترونية يلتقي مع مخيال ما بعد الحداثة.

الطوباوية والتشاؤمية :

إن هؤلاء المؤلفين غالبا ما يتخذون مواقف من النواحي الإيجابية أو السلبية المتعلقة باستعمال التقانات الحديثة. وفي هذا المضمار يستنتج كل من شارك دينلوب (Charles Dunlop) وربرت كينغ (Robert King)، بعد تحليلهما العديد من الكتابات التي تعالج قضايا الحوسبة عامة وموضوع الشبكات خاصة، أن الكتابات في هذا المجال لا تزال متأثرة بالافتراضات والأحكام الطوباوية المسبقة، التي تخفي التوترات الاجتماعية بصورة خاصة.

ولذلك فإن مديري نشر مؤلف «الحوسبة والمجادلة : صراع قيم وخيارات اجتماعية» قد دعيا إلى التريث عند الإطلاع على المقالات العلمية والتقارير البحثية. وحذرا أيضا القارئ من تشاؤم المعارضين للطوباوين، والذين يقدمون عن الحوسبة صورة قاتمة ووحيد ةاللون. فبالنسبة إليهما، فلئن اتسمت الرؤية الطوباوية والرؤية المعارضة لها بالتبسيطية، فإنهما تتميزان على الأقل بقدرتهما على فهم التحولات التي تولدها النظم الافتراضية وتشخيصها.

وعلى غرار فاتحي فضاءات الغرب الأمريكي الشاسعة، يستكشف المؤلفون هذه الأقاليم الجديدة ويحتلونها، وهي تفتح في ذات الوقت الذي تندثر فيه المواقع الأثرية، كما تلاحظ عالمة النفس والاجتماع اليكيار روزان ستون (Allucquier Rosanne Stone). وبحماس الرواد الأوائل، نجد الطوباويين والمناوئين لهم، والذي هم أصحاب أقلام متنوعة، يحللون الأوضاع ويعبرون بصوت عال عن فوائد أو مخاطر أماكن الحج الجديدة بأسلوب يختلف باختلاف مجالات اختصاصهم.

ومنذ زمن غير بعيد، كان علماء وأخصائيو النظم الافتراضية لا يستعملون إلا عبارات البيئات والعوامل والفضاءات، وبالمقابل فإنّ تعبير المجتمع السبرنتيقي، كان مخصصا للمقاربات الأدبية والشعرية وحتى الهامشية. وهذا التعبير الذي يحمل في طياته معنى البعد الخيالي (بما أنه تمخض عن خيال الروائي وليام قبسن William Gibson) وكذلك انتشار ظاهرة الشبكات يستعمله الآن عدد كبير من الكتاب تتنوع اختصاصاتهم.

شبكة وفضاء للحياة :

ولئن تساءلت العديد من المساهمات حول الألعاب التفاعلية أو النصوص المترابطة (Hypertexte) فإنها تنظم تفكيرها حول مفهوم العوالم والفضاءات الجديدة أو هي تشدد عليه. وعلى كل، فإن ذلك يعدّ من الثوابت عند الكتاب الذين يهتمون بالشبكة كفضاء اجتماعي (انظر الانترنيت). ويكتسي إذن هذا المفهوم أهمية بالغة بخصوص إدراك طبيعة الظواهر الاجتماعيةالتي تنشأ داخل الشبكات إدراكا أفضل. ويعترف ستفن ج جونس (Steven G. Jones) ناشر مؤلف «المجتمع السنبرنتقي» بأن فعل الكتابة والنص أساسيان لتشكيل الفضاء. ومع ذلك، فانه لا يتوقف كثيرا عند هذه النقطة، لأن موضوع دراسته كغيره من الباحثين هو ملاحظة وفهم ما يجري في البيئات الافتراضية، في حين أنه في الخطاب وبالخطاب على الخط، يتشكل الوجود ذاته لهذه الظواهر المرتبطة بالشبكات.

وبفضل هذه العلاقة الحميمية، فإن بعض الكتاب إن غضوا الطرف عن النص لم يلبث أن يعود إليهم مهرولا. وهكذا فإنه للبرهنة على أن الشبكات هي مجالات مادية تشير لندة هرسيم (Linda Harisim) إلى بعض الممارسات اللغوية على الخط من قبيل «أراك على الخط» و«أنا هنا» و«لنلتق على الخط». ويتعاظم الإحساس بالفضاء عندما تأخذ النقاشات مكانها في «محطة حوارات الانترنيت» المسماة بـ«مقهى الانترنيت» أو «الارسي» (IRC) أي "Internet Relay Chat"، ما يطلق عليه صراحة بقاعة المحاضرات. ويتجسم هذا الإحساس بالفضاء أيضا بالنسبة إلى مستعملي شبكة «مجالات المستعملين المتعددة» أو «المود» "Multi User Domains" أو الـ "MUD" طبقا للوصف التالي : «المكان هنا مضيء للغاية مفتوح ومهوأ مع نوافذ كبيرة ببلور مصقول تفتح على الجنوب وعلى المسبح وما وراء الحدائق».

ومثلما هو الحال في الفضاءات العمومية، فإن الشبكات هي أيضا أماكن تجمع تؤهل للقاء بانتظام، وبذلك تتشكل المجموعات والجماعات. ويعزو هاورد رينغلد (Haward Rheingold)، الشديد التحمس للاتصالات عبر الحواسيب نجاح الجماعات الافتراضية على الأرجح إلى اندثار الفضاءات العمومية/أماكن اللقاء في الولايات المتحدة، ويمعن هذا الكاتب الذي يقضي الساعات العديدة على شبكة «الارتباط الإلكتروني الكونية الشاملة» "Wole Earth Lectronic Link" «الويل» "WELL" في بيان قدرة الشبكة الفائقة على تعويض مفهوم مقهى الحي والمكتبة العمومية وحتى الطبيب الخاص، وذلك في مؤلفه حول «الجماعات الافتراضية» ويقدم البرهان على ذلك، بأن يروي لنا من الصفحات الأولى لمؤلفه كيف أنه تمكن في غوصة واحدة في شبكة "الويل" من الحصول على معلومات مناسبة مكنته من تخليص ابنته من قرادة برأسها، وذلك قبل أن يجد طبيبها متسعا من الوقت للاتصال ثانية لمده بنصيحته في الموضوع.

وهنالك تجربة أخرى تفوق الأولى أهمية، إذ يصف الكاتب كيف أن إحدى العائلات كان أحد أبنائها مصابا بسرطان الدم ووجد الدعم المعنوي والمعلومات الطبية التي مكنته من مقاومته. وهكذا نفهم بسرعة فائقة ومن خلال الأمثلة العديدة التي يقدمها هذا الكاتب الأسباب التي دفعته إلى الانتماء إلى جماعة افتراضية، وقد ماثل بحنين ورومنسية بين شبكته والفضاءات العمومية التي يحلو فيها اللقاء. فالبنسبة لهذا الكاتب ولكل المبشرين بالتقانات الحديثة من مختلف الاتجاهات، تبدو الإمكانات الإلكترونية للشبكة والتي تسمح بالقضاء على المسافات وضغوط المواقيت والأجسام إمكانات لا متناهية. ذلك أنّه يتسنى بواسطة الاتصالات عبر الحواسيب، الحصول علي معلومات حيوية مهما كان موضعها، والقيام بتبادل فكري يحتاج له المرء كالصداقة والحب. وباختصار يمكن القيام بكل شيء : "إذا ترك المرء جسده خلفه" حسب ما جاء في قول هاوارد رينغلد (Haward Rheingold) نفسه.

ولا يبقى إذن لمستعملي الشبكة سوى اختيار الفضاء الذي يشعرون فيه بالراحة، فكل شبكة تمتاز بمناخات وعوالم متميزة. وإذا كان المرء من هواة السفر والترحال فإن البديل عن الشبكة / الموقع الثابت، ليس الإرساء، وإنما الإبحار حتى الحدود الإلكترونية : بدون اعتبار للقوانين الجماعية... (..) وحتى العشائرية لشبكة الارتباط العالمي World Wide Web ولكن مع الخضوع إليها، رغم ذلك، بشكل ما."

الحياة الاجتماعية : الأعراف والنظم والثقافات.

ولئن لم تتوفر بالمعنى الدقيق للكلمة منظومة من الأعراف تحكم أسلوب الاتصال والسلوك على الخط، فإنه من البديهي أن الشبكة تعني في المقام الأول، جملة من قواعد السلوك : وهذه القواعد التي وقع فرضها تقريبا، هي التي سيبرزها المؤلفون ويتفحصونها. فعلى شبكة اليونزات uniset (شبكة تضم ما يزيد على 5000 مجموعة إعلام)، على سبيل المثال، يلتزم المستعملون بالخضوع للأعراف التكنولوجية واستعمال لغة تخاطب مهذبة واحترام الحياة الخاصة للأعضاء الآخرين وعدم بث أخبار زائفة، وتتأثر هذه القواعد بعوامل داخلية وخارجية للشبكة.

أما على شبكة "الايرسي"، فيؤدي أكبر محظور ـ هو استعمال الكنية أو الاسم الأدبي لشخص آخر ـ إلى الإقصاء المتمثل في قيام المذنب باعترافات عمومية (على الخط). ولا توجد صلة لقواعد شبكة "الويل" ذات الطابع العائلي والعشائري بالقواعد السائدة في شبكة "المود". وتتشكل العوالم الافتراضية داخل هذه الأخيرة انطلاقا من النص، ومن أعرافها أن يغير العضو سنه وجنسه وينقاد إلى رغباته ويعيش شهواته الأكثر جنونا. وهذا لا يمنع غالبية مستعملي الشبكة الذين هم من الشباب من إدانة العنف والعدوانية.

وهكذا وفي هذه العوالم المتشكلة من الكلمات حيث يتقمص كل عضو دور شخص أو أشخاص عديدين، يحدث أن يطالب بعض مستعملي الشبكة بتسليط عقوبة لأي فعل خطير. ويتمثل إنزال حكم الإعدام هنا في "تحويل المذنب إلى ضفدعة"، وهو ما يعني تجميد عضوية الشخص والحكم عليه بالاندثار أي رفته من الشبكة. ونادرا جدا ما يحدث مثل هذا الأمر، ولكنه حدث فعلا. فبسبب ضغط مستعملي الشبكة وعبر حوارتهم على الخط وبمساعدة "ساحر" (مستعمل له مسؤوليات تكنولوجية تتمثل خاصة في مراقبة البرمجيات التي تعمل على الشبكة) تم تحويل السيد بنكل (Bunkle) إلى ضفدعة بسبب اقترافه لسلسلة اغتصابات افتراضية باستعماله قوة اللفظ واضعا الأشخاص / الضحايا في وضعيات نصية مخلة بالحياء وعلى درجة لا تطاق من العنف.

وقد روى هذه الحادثة جوليان ديبل (Julian Dibell) بكل تفاصيلها (لقد كان فعلا موجوداً على الخط تحت اسم الدكتور Bombay). وبالنسبة إليه فإن مسخ الفضيع بنكل

(Bunkle) إلى ضفدعة هو خاصة مناسبة للكشف عن مظاهر تحول آخر : تحول قاعدة بيانات إلى مجتمع، وبالرغم من سيادة قانون مبدأ اللذة على شبكة "المود" ، فإن الحرية تنتهي أيضا حين تبدأ حرية الآخرين.

ثقافات جديدة :

وتشكل قواعد السلوك والأعراف المعلن عنها إلى حد ما، والمتبعة في البيئيات الافتراضية (الرغبة في معاقبة كل فعل آثم) مؤشرا على تنامي مدونة أخلاقية ومنظومة قيمية تميزان كل المجتمعات التي هي في طور التشكل.

ولهذا السبب تتواجد، وبصورة ملحة، في المؤلفات التي نستعرضها مفاهيم الجماعة والعشيرة مع فكرة الثقافات الجديدة المتولدة داخل الشبكة وبفضلها. ويطرح الكتاب الذين يتأملون في الحياة الاجتماعية داخل الفضاءات الافتراضية ويساهمون في الجدل النظري القائم حول التبعات الثقافية التي ستتمخض عن القراءة-الكتابة الإلكترونية، ومن ضمنهم الكاتب الشهير داود بولتر (David Bolter) الأسئلة التالية : بماذا تتميز الجماعات المتولدة عن الاتصال عبر الحاسوب عن مجتمعنا ما بعد الحداثة ؟ ما هي نوعية الثقافات التي تبرز عبر الشبكات ؟ وهل إن المجتمعات الافتراضية جزء لا يتجزأ من مجتمعات المستقبل ؟

ولفهم هذه الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها، سيحاول البعض منهم تفحص الرسائل المبثوثة على الخط، باعتبار أنّ النص انعكاس لنماذج جديدة اجتماعية – ثقافية منبثقة من الشبكات، وفي هذا الاتجاه فإن نص "المود" الذي اختارت اليزبيت ريد (Elizabeth Reed) دراسته جدير بكل اهتمام. ففي هذا النص لم تحترم قواعد الإملاء، فلا توجد أحرف كبير في بداية النص ولا نقط نهاية. وتسمح لوحة مفاتيح الحاسوب برسم علامات تعبر عن انفعالات نفسية أو حتى مادية. فابستطاعة مستعمل الشبكة حين يكون في حالة مزاجية سعيدة أن يبدأ نصه بالعلامات التالية :.) التي تظهر وجها مبتسما منظورا إليه من الجانب، وليست كل هذه العلامات سهلة التأويل فمثلا (:&^!*!* تعني الانفصام وتبدو هذه العلامات مبهمة لغير المطلعين ويؤدي تأويلها إلي الخلط.

وترى اليزبيت ريد (Elizabeth Reed) في استعمال مثل هذه العلامات مؤشرا على أن مستعملي شبكة "المود" لا يتقاسمون نفس الفضاء فحسب وإنما يشتركون أيضا في

اللغة والنص والثقافة المشتركة. ويحتوي محيطهم الثقافي، الذي هو شبيه بالنص الذي ينتجونه والمتميز بالطرافة والتركيب، والمعتمد في ذات الوقت لجوانب من اللغة المكتوبة والشفوية وجانب من تقانة الحاسوب ـ على جوانب تقليدية من الثقافة ومن عالم الخيال الذي ابتدعه مستعملو شبكة "المود".

تفحص النص :

ويعتبر مارك دري (Mark DERY)، الناقد الثقافي المهتم بقضايا التكنولوجيا والثقافات الهامشية، تفحص النص مسألة بالغة الأهمية، ويحلل الشتائم التي يقع تبادلها على الشبكات. وحسب رأيه فإن خطاب الشتائم هو الجزء السبرنتيقي، الذي يقابل ظاهرة معروفة باسم "الاثني عشرية" لدى الجماعة الزنجية الأمريكية ولكنها أقل بلورة.

ويتشاتم المشاركون في هذه المبارزة اللفظية بخطب مسهبة، تروي ضمن ما ترويه المآثر الجنسية لوالدة الخصم، ويمكن أن تصل درجة عالية من الحدة وتأخذ أشكالا مبالغًا فيها من استعمال علامات التنقيط. ولكن ما دامت هذه الشتائم في جلها تتم تحت اسم مستعار فليس هناك من خطر.

وتشكل هذه العدوانية، التي تبرز على الشبكات التي تجيز استعمال الأسماء المستعارة، موضوع تأمل لدى عديد المؤلفين. والأكيد أن الاتصال عبر الحاسوب قد حرر المستعمل من الأحكام الما قبلية المرتبطة بمظهره الجسماني أو طريقة تعبيره، وكذلك فإن استعماله للأسماء المستعارة جعله يشعر بأنه في مأمن من أي ملاحقة. ولكن للعملية وجه آخر يتسم بجملة من السلوكيات المعادية للمجتمع. وينكشف من خلالها واقع معين للفضاء السبرنتيقي : واقع مر يغذي الجوانب السلبية لمجتمعنا والتي تظهر في الفضاء الافتراضي الذي كان يعد بمستقبل زاهر.

وهكذا توصف الجماعة الافتراضية كعامل يعزز الفردية ويعيد إنتاج المظاهر التمييزية والمرضية في الثقافة السائدة. وبهذا يقضى على فكرة الشبكة المرادفة لجماعة المستقبل الطوباوية، والتي بلورها رينغلد (Rheingold) وأتباعه، وهي فكرة غالية على الأمريكيين الشماليين. وتفضي غربلة مقولة الحياد المزعوم للنص عبر الخط إلى الكشف إذن عن مظاهر التميز الجنسي والعرقي المتواجد خارج الشبكة. وستستغل أيضا هذه

الفرصة لإظهار أن الخطاب على الخط هو بعيد عن أن يكون طريفا وإنما هو محشو بكلام معاد، ويعكس مشاغل الطالب العادي الذي يسعى إلى الإحراج والبحث عمن يشبع رغباته الجنسية وتجاذب الحديث معه في المسلسلات التلفزيونية. وتنضاف، إلى قائمة السلوكيات المعادية للمجتمع والتي تلازم أيضا عالم الشبكات، التطفل على مراسلات الآخرين الإلكترونية واستعمال الفيروسات لإتلاف نظم القيادة.

وفي النهاية فإن حرية التعبير الشاملة ـ وهو شعار أنصار الاتصال عبر الحواسيب، ستفضي ـ وتحت نظرة الملاحظين النقدية ـ إلى آثار غير متوقعة، وهكذا تنطفئ شبكة كاملة في بعض أشهر، هي شبكة "كمنتري "CommuniTree" المتواجدة في منطقة لوس انجلس، وهي التي تدعو إلى ترقية الفكر والقيم الروحية تحت سيل من الألفاظ النابية الصادرة عن مراهقين غرباء عن الشبكة. وتكشف هذه الحادثة، التي روتها الوكير روزان ستون (Allucquiere Rosanne Stone)، على غرار أحداث أخرى ذات علاقة بالفضاءات الافتراضية، عن تسرب واقع، هو واقع (خارج الشبكة) اعتقد بعض المستعملين أنهم تخلصوا منها.

الواقع الافتراضي والواقع : توتر وأزمة هوية.

يبدو أن التوتر بين الحياة الافتراضية والحياة الواقعية حاضر على الدوام عند دراسة الظواهر الاجتماعية الخاصة بالعوالم الافتراضية، وهذا بصورة خاصة في حالة التجاء مستعملي الشبكة إلى تقمص شخصية ثانية على الخط. وهنالك روايات عديدة عن هذه الظاهرة التي غالبا ما أشار إليها عديد الكتاب. والأكيد أن أشهر حالة هي "الحالة الغريبة للعشيق الإلكتروني". وفيها تنتمي جوانة "Joan" إلى مجموعة حوار على شبكة "كمبسرف" compuserve. وجوانة "Joan" امرأة بكماء وكسحاء بسبب حادث سيارة تعرضت له. وقد صارت تتلقى الاعترافات، بفضل ما تتمتع به من يقظة فكرية ودفء عاطفة، وكسبت ثقة مستعملي الشبكة. وقد حصل أن غيرت حياة العديدات من سريراتها على الخط. لذلك كانت الصدمة والإحباط والإحساس بالخيانة كبيرة، عندما اكتشف جماعة مستعملي الشبكة عبر سلسلة من الأحداث، أن جوانة "Joan" التي تتلقى الاعترافات لم تكن لا بكماء ولا كسحاء ولا امرأة. لقد كانت شخصية افتراضية ابتكرها ألكس "Alex" وهو طبيب أعصاب نيويوركي في الخمسين من العمر. وخلال السنتين

اللتين استغرقتهما هذه المهزلة، خطبت جوانة وتزوجت من رجل أمن مخلص (واحتفل بهذه المناسبة على الخط) وقدمت أيضا أحد أصدقائها إلى مراسليها على الخط، وصديقها هذا معروف أيضا على الشبكة ويدعى ألكس في الحياة الفعلية.

لقد بلورت هذه الحادثة، التي أدركها العديد من الكتاب وعقبوا أيضا عليها بصورة مختلفة، التوتر القائم بين الحياة الافتراضية والحياة الفعلية. وسمحت هذه الحادثة حسب الوكير روزان ستون (Allucquiere Rosanne Stone) للربط بين التغير في الهوية على الشبكة وفوضى الشخصية المتعددة (مرض نفسي منتشر حاليا في الولايات المتحدة). وهي مناسب بالنسبة إلى كل هؤلاء للإعلان عبر المستعملين الذين يهمهم الأمر " أن التكنولوجيا لا تشكل درعا ضد الإحباط ".

وعلى غرار لندسي فان غلدر (Lindsay Van Gelder) والوكير روزان ستون (Allucquiere Rosanne Stone) وهاوارد رينغلد (Haward Rheingold) تقدم سيري توركل (Sherry Turkle) روايتها أيضا لهذه القصة في مؤلفها «الحياة على الشاشة» مؤكدة انزلاق العالم الافتراضي في العالم الواقعي والتبعات التي يمكن أن تنجر عن ذلك. ولسبر أغوار ظاهرة تغيير الهوية على الخط، وحتّى تتمكن من القيام ببحثها، تقوم عالمة النفس والاجتماع بالتحاور مع المستعملين لا فقط على الخط وإنما أيضا في الحياة الفعلية. وهكذا تبين كيف أن تقمص أدوار على شبكة «المود» سمح للطالبة جولي (Julie) بأن تفهم بشكل أفضل العلاقة الصعبة مع والدتها وتتحمل تلك العلاقة في الحياة الواقعية.

وقد شكلت الشبكة أيضا، بيئة علاج لماتثيو (Matthew) وغردن (Gordon)، هذين الطالبين اللذين توصلا إلى فهم جوانب من شخصيتهما بمعايشة أوضاع انفعالية عن طريق شخصيات افتراضية ابتدعاها. وبالمقابل لم يحصل لكل المستعملين تجارب بمثل هذه الإيجابية. فبالنسبة إلى ستوارت (Stewart) وبالرغم من نجاح اشيل (Achille) «ذاته الأخرى» على الخط، فإن الحياة الافتراضية على الشبكة، لم تكن سوى حياة موازية، عمقت عزلته (بسبب آثار التبعية) وأكدت عجزه المرير على ربط علاقة عاطفية في الحياة الواقعية.

ذلك أنه بالنسبة إلى مستعملي شبكات «المود» وكذلك «الويل» و«الارسي» فقد أصبحت التبعية للشبكة أمرا فعليا، يعترف به حتى الكتاب الأكثر حماسا، وتكرر سيري توركل (Sherry Turkle) في خاتمة تأليفها «إن المرء يمكن أن يتيه في العوالم

الافتـراضية». وقـد تؤدي الرغبة الجـامحة في الهـروب إلى المجازفة والوقـوع حبيـسا في الشبكة/الشـرك التي تمسك بين عقدها المـستعمل مـشدودا إلى لوحة مـفاتيح حاسـوبه ما يقارب أحيانا الـ 120 ساعة في الأسبوع. وتثير ظاهرة الإدمان وخطر تكوين جيل هائم في الفضاء السبرنتيقي له هويات متعددة ولا يعي الحدود بين الواقع والوهم، العديد من الكتاب.

فهل هو تقمص أدوار أم هويات متعددة وحيـاة موازية ؟ وهل هو معرفة أفضل للذات أم تبعية وادمان ؟ يستخدم الجدل القائم حول تغيير الشخصية على الخط، وكذلك الجدل المرتبط بالشـبكات الافتـراضية، كـغطاء يخفي إشكاليـة معـرفة ما إذا كـان الواقع الذي أفرزته الشبكات قادرا على تغيير المجتمع.

وهل هي وعـود ومنافع أم احتـمـالات ومخـاطر ؟ يعطى كل كـاتب تأويله للحاضـر ورؤيته للمسـتقبل. ولا تنعدم المجادلات وأحـيانا التراشق بالمقالات حـول تكافؤ الفرص وعلاقات النفوذ على الشبكة. إلا أن هناك نقطة إجماع، في لحظة ما من تأليفهم، إذ تتناغم أصوات والكتاب قد يختلف الأسلوب الذي يعتمده كل منهم ولكن مضمون الرسالة واحد : لا أحد بإمكانه اليوم تجاهل ظاهرة الشبكات.

وهل هو التمـاس أم دعوة ؟ يؤكـد جميـعهم على ضرورة الاطلاع عـلى هذه العوامل والانخراط فـيها والمشاركـة في حواراتها، ويتكرر النداء بشكل طقـوسي، إلى ضرورة الوعي الاجتماعي بالتحـولات الحاصلة نتيجة اعتماد التقـانات الجديدة في استنتاجاتهم النهائية. وإن تجنب المخاطر والاستغلال الأمثل للاتصال عبر الحواسيب يتطلب مشاركة الجميع ، وإن المستقبل بين أيدينا والمغامرة هي دأبنا. فهلموا إلى لوحة مفاتيح حواسيبكم ! وأهلا بكم في الفضاء السبرنتيقي !